



انتظار..!



قائلاً لقلبه بعد أن وضع يده عليه: اهدأ، كلها ساعات وتلتقي نصفك الآخر.. لا.. بل تلتقي نفسك.. فقد شاركها فيه طفلتنا الوليدة.. التي غادرتنا لتلدها بين أهلها.. وها هي ذي ستعود حاملة إياها لينيرا ظلام أيامنا وليالينا التي قضيناها وهما بعيدتان عنا..!

لم يهدأ قلبه.. بل ازدادت ضرباته حتى خشي من توقفه.. تحسسه برفق.. وراح يأخذ شهيقاً طويلاً بطيئاً من هواء عليل أتى لتوه من نافذة حجرة مطلة على حديقة عامة غناء.. محاولاً مساعدة قلبه على العودة إلى طبيعته.. ولكن محاولته باءت بالفشل..!



محمود حسين عيسى - مصر

الذين التفوا ناصبين شباكهم العنكبوتية حوله.. قال في نفسه مشجعاً مهنياً: أريد همة أكثر.. فات الكثير ولم يبق إلا القليل.. هناك أعمال لا بد من إنجازها حتى تأتي هدي وترى البيت كما تركته أنيقاً منظماً نظيفاً..!

انتبه إلى صوت نبضات عالية آتية من صدره.. ابتسم

استيقظ محمد من غفوة قصيرة أخذته على صوت أذان الفجر.. فهو لم يخلد إلى النوم منذ صباح أمس.. وكيف ينام وهو في صراع مع الوقت لإنجاز مهام نظافة الشقة الصغيرة التي جمعتها بزواجه هدى.. وعاش فيها أجمل ثمانية أشهر في حياته.. منذ أن استقدم زوجته إلى البلد الأوروبي الذي هاجر إليه بحثاً عن رزق واسع يوفر له حياة كريمة عند العودة إلى أحضان وطنه؟..!

قادته ذاكرته إلى أحداث أيام أليمة مرت به في سنوات غربته الأولى.. لكن سرعان ما حمد الله على إعانته وحفظه له: من شياطين الإنس والجن

- سأل قلبه في عجب: لم هذا التوتر؟

لم يجبه.. وبقي على حاله..

- نظر إليه مستعظفاً.. قائلاً: أرجوك اهدأ.. لم أعد أحتمل سرعة وقوة نبضاتك.. ستقضي عليّ..

لم يجبه.. ولكنه بدأ يخفف من سرعة وشدة ضرباته خوفاً على صاحبه..

- ابتسم محمد مداعباً قلبه: ألهذا الحد أنت مشتاق إليهما..؟ أخذت الدموع تنسل من عينيه..

- قال محمد: إنها دموع الفرح..

قال قلبه بصوت متهدج والدموع تنهمر من عينيه: أخشى عليها.. لقد حذرک الأطباء من حملها.. وأنه سيمثل خطورة على حياتها..

- محمد مندهشاً من قوله: أنا لم أجبرها على الحمل.. بل كما تعلم نصحتها كثيراً أن تؤجله.. فالعمر مازال أمامنا إن شاء الله.. ولكنها أصرت..

قال قلبه غاضباً ثائراً: كان يمكنك منعها.. ولكن رغبتك وحبك للأبوة كانا أقوى.. وهي لمست فيك ذلك..

- محمد: هذا حديث لا فائدة منه.. فهي ولدت والحمد لله.. وكنا نتابعها لحظة بلحظة.. وسوف نستقبلها في المطار بعد ساعات قليلة هي وابتنا..

* * *

انطلق محمد ليكمل ما تبقى من أعمال المنزل.. مختلساً نظرات متتابعة إلى ساعة الحائط.. قائلاً في حنق: الوقت يمر بطيئاً..! مازال هناك أربع ساعات على موعد وصول الطائرة..

* * *

نفمة الهاتف المحمول تشق السكون المخيم على البيت.. انتبه إنها النفمة التي خصصها لزوجته.. اندفع كالسهم المنطلق من قوسه نحو الهاتف.. سيسمع صوت حبيبته..

قال لقلبه: حبيبتيك ستطمئنك بنفسها..

لم يجبه.. ولم يحرك ساكناً.. كأنه أغشى عليه..

محمد: السلام عليكم.. أهلاً يا حبيبتي..

صوت شقيق هدى المخنوق بالبكاء: (...) احتسبها عند الله..

دارت الأرض وتقلت من تحت أقدام محمد (...)

* * *

يحتضن طفله الرضيع وهو يستمع باكياً لما حدث لزوجته وحبيبته من شقيقتها: ودعتها في المطار ولم ألحظ على وجهها إلا فرحة قرب لقائها بك.. فلم يخل حديث بيننا يأتي فيه ذكرك إلا أثنت عليك.. وعددت مناقبك، وشهدت بحسن أخلاقك، وطيب عشرتك..!

يرتفع صوت نحيب محمد.. ويستطرد شقيق هدى: وما إن خرجت من المطار حتى رنّ الهاتف.. ورأيت اسمها.. وظننت أنها نسيت شيئاً مهماً.. وكانت المفاجأة أن أسمع صوتاً غريباً.. سألني: من أنت؟

قلت في عجب: بل من أنت؟ هذا هاتف شقيقتي.. كيف وصل إلى يدك؟

قال محدثي: أنا ضابط بالمطار.. وأريدك أن تأتي فوراً لأمر مهم؟

قلت مستفسراً: ما هو؟ قال: شقيقتك أصابها بعض التعب.. وقد أمر طبيب الحجر الصحي بضرورة نقلها إلى المستشفى حالاً.. وأريدك أن تأتي لتستلم رضيعتها..

وأردف شقيق هدى وهو يمسح دموعاً فرت من عينيه: لم أكن أتصور أبداً أنها قد فارقت